

اجتهادات تصديرُ الشعبوية بعدَ الديمقراطية !

محاكاةٌ لاقتحام مبنى الكونجرس الأمريكي في 6 يناير 2021. ولكنها محاكاةٌ مزيدة (بلس) قام بها أنصارُ الرئيس البرازيلي السابق جايير بولسونارو، إذ شمل الاقتحامُ القصر الرئاسي ومبنى المحكمة العليا إلى جانب البرلمان. فترةٌ بولسونارو الرئاسية نفسها كانت فيها محاكاةٌ لكثير مما فعله الرئيس الأمريكي السابق ترامب حين سكن البيت الأبيض

دخل بولسونارو قصر بلانالتو في أول يناير 2019، أى فى ذروة انتعاش ترامب، وتسليط الأضواء على ممارساته الشعبوية. كان ترامب قد أمضى عامين تقريباً فى البيت الأبيض، عندما بدأ بولسونارو السير على خطاه. حاول ترامب أن يضع نفسه فوق المؤسسات الدستورية كلها، متصوراً أن ثمة علاقة مباشرة تربطه بالشعب، وأن تغريداته عبر تويتر تصل إلى الناس بشكل مباشر. وهذا هو جوهرُ الفكرة الشعبوية، التى تنطوى على تناقضٍ بنائى. فالسياسى الشعبوى لا يحاول الارتفاع فوق المؤسسات الدستورية فقط، بل فوق الشعب الذى يتخيل أنه يتحدث باسمه. ويبلغُ التناقضُ ذروته حين يكونُ نصفُ الشعب معارضاً له

انتقلت الشعبوية، إذن، من الولايات المتحدة إلى خارجها. صار نموذجُ ترامب الشعبوى مُلهماً، وبدأت تجلياتُ هذا الإلهام فى البرازيل، وقد لا يقتصرُ عليها، فى الوقت الذى كفت الديمقراطية الأمريكية عن أن تكون مصدر إلهامٍ منذ عدة عقود. الإلهامُ يحدثُ أثره نتيجة إعجابٍ تلقائى بنموذجٍ ما، وبدون أن يحاول صاحبُ هذا النموذج ترويجه، ناهيك عن أن يسعى إلى فرضه

وكانت الديمقراطية الأمريكية مصدر إلهام بهذا المعنى لفترة طويلة منذ أوائل القرن التاسع عشر. فقد ألهمت بلداناً أوروبية، وغيرها، منذ أن كتب المؤرخ والسياسي الفرنسي ألكسيس دو توكفيل كتابه المشهور (الديمقراطية في أمريكا) الذي نُشر في جزئين عامي 1835 و1840، أي حين كانت فرنسا في حالة مخاضٍ ديمقراطي صعبٍ وطويل امتد حتى سبعينات القرن 19. واستمر هذا الإلهام إلى أن انقلبت إدارات أمريكية عدة عليه بعد الحرب العالمية الثانية وتدخلت لإسقاط نظمٍ ديمقراطية، وأعقبتها إداراتٌ حاولت تصدير الديمقراطية بأساليب مختلفة. وبعد أن أخفقت هذه المحاولات، أصبح الإلهام الشعبي الترامبي أحدث الصادات الأمريكية.